نحو حياة إسلامية جديدة

(١)

تحرير العقيدة

بقلم الأستاذ
طه عبد الباقى سرور

اليوم والأمة العربية تواجه الأضواء ، وتقف على مسرح الحياة ، وتصنع التاريخ وتدفع بالأحداث ، وتتحول إلى قاعدة عالمية للحريات الإنسانية المقدسة ، وينطلق منها الإشعاع الروحى الملهم ، إلى القارتين العظيمتين آسيا وأفريقيا ، فتضاء آفاقهما بالآمال العريضة ، وتنضج ساحاتهما بالتوثب والتحرر والانطلاق .

اليوم وأجزاء الوطن الإسلامى الكبير تتحرر وتستقل وتأخذ مكانها الإيجابى من الركب الحضارى .

اليوم والتاريخ قد استدار وجهه وتغيرت اتجاهاته ، يجب على المؤمنين بالفكرة الإسلامية أن يتقدموا بفكرتهم فى ثوب جديد يتسق مع خطو الحياة وتطورها ، ويتفق مع أحلام الشعوب وواقعها ، بل يتسق ويتفق مع تلك التطورات الاجتماعية والعلمية الهائلة التى مشت إلى أبعد عمق فى المجتمعات العالمية ، فغيرت ملامحها ، ووجهت نظمها ، وصاغت واقعها ، وشكلت حياتها .

ويجب على المؤمنين بهذه الفكرة أن يواجهوا أحداث الحياة النامية . وخطوطها العريضة المتحركة المتشابكة ، وأن يجابهوا حقائق وجودهم فى صراحة ، وفى إيجابية ، وأن يبنوا دعوتهم على أسس علمية واضحة ، مفصلة المناهج ، محددة الأهداف ، متناسقة الملامح والاتجاهات ، فقد ولى عصر الكلمات العاطفية الطنانة ، والصيحات الوجدانية البراقة .

كما يجب أن يواجهوا فى شجاعة ، ذلك التحول النفسى والروحى الكبير الذى أصاب المجتمعات الإسلامية فأفقدها التذوق الروحى لدينها ، والفهم الصحيح لعقيدتها ،

والتطبيق العملى لنظمها ، فأصبحت تلك المجتمعات تمثل كل شيء إلا الأفق الأعلى لدينها ورسالتها .

إن المثل الإسلامية الرفيعة التى صنعت ماضينا ، قد غامت وخبت وانطفأت تحت أكداس هائلة ، من أحداث التاريخ المظلمة القاسية .

وإن روح الإسلام المتقد الحى ، قد انقلب فى أيدينا إلى شكليات وطقوس وعادات ، انفصل ما بينها وبين روح الإسلام ، وبتر ما بينها وبين أنواره وإلهاماته .

لقد تحول الإسلام العظيم الخالد ، الإسلام الذى ارتضاه الله لعباده ، وختم به وحيه ورسالاته ، ليصنع به خير أمة أخرجت للناس .

تحول هذا الإسلام العملى الإيجابى البناء ، إلى جداليات وتفريعات واختلافات ، وقفت كالطود الأشم فى وجه المسلمين ، فتطورت الدنيا ووقفوا ؟ وتحركت الحياة وجمدوا ؟ وصنع غيرهم القوة والعزة والحرية ، بينما هم ينسجون أكفانهم ، ويقتاتون بأحقادهم .

وعندى أن الخطوة الأولى الإيجابية ، لدعاة الفكرة الإسلامية ، يجب أن تبدأ أولا بتحرير العقيدة الإيمانية ، فقد ضاع جوهر هذه العقيدة ، وفقده المسلمون فى ذلك التيه الأسطورى الذى زج المسلمون بأنفسهم فى شعابه ومتاهاته ، فتقنعت العقيدة وتشكلت فى أذهان الناس بمختلف الصور ، التى لا تمت إليها بصلة أو نسب .

فليس من العقيدة الإسلامية فى ظاهرها وباطنها أن ينكب الناس على وجوههم ، فيتركوا جوهر رسالتهم ، ومقومات حياتهم ، ويتخلفوا عن الركب الحضارى ، ليدخلوا فى تيه عجيب رهيب ، قاتل للوقت وللطاقة وللنفس .

تيه الاشتغال بالسفسطة الكلامية التى لاهدف لها إلا التعالم باللفظ ، والتغالب بالقلم أو اللسان .

لقد اقتصر النشاط الحيوى ، الدائر حول العقائد فى العالم الإسلامى ، على الجدل والنقاش ، فى غيبيات وشكليات لا تهدى إلى حق ، ولا تصنع قوة ، ولا ترشد إلى خلق ، ولا تبنى حياة ، ولا تنجب هدى ، وظن الناس أن هذا هو الإيمان فأقبلوا فى سعار محموم يتواثبون ويتجادلون .

هل الإنسان مسير أم مخير ؟ هل القرآن مخلوق أم غير مخلوق ؟ هل الجنة موجودة أم سوف توجد ؟ هل أسرى بالرسول صلوات الله عليه بجسده وروحه أم بروحه

فقط ؟ هل رفع السيد المسيح إلى السماء ، أم توفى فى الأرض ؟ هل أهل البيت رضى الله عنهم أولى بالخلافة أم الأمويين ؟ وهل للجن صلة بالإنسان وما حدود تلك الصلة ؟ وما هى آثار الحسد على المحسود ؟ وما هى أسماء الله تعالى وهل هى توقيفية ؟ وصفات الله سبحانه ، هل هى معنوية أم عضوية ، وهل الصلاة على الرسول صلوات الله وسلامه عليه بعد الآذان سنة حميدة أم بدعة ضالة ؟ وهل الإيمان بالأولياء وزيارة قبورهم طاعة أم معصية ، وتتطاير هذا الجدل ، واشتد أواره ، وثار غباره ، حتى نسى المسلمون فى قتامه وظلامه عقيدتهم ووجودهم .

ياحسرتا على المسلمين ، ماهى الثمرات التى تعود عليهم ، وعلى البشرية ، من هذا الجدل الأسطورى البيزنطى ، وهل يمكن أن يسمى هذا عملا صالحا فى الدين أو الدنيا ! ؟

إن الإيمان فى الإسلام فطرة وبساطة ، لا تكلف فيه ولا تخيل ، ولا جرى وراء كلمات وجدليات ، لا تغنى عن الحق شيئا .

فالمسلمون يعبدون ربهم عبادة فطرة وبساطة ، عبادة جلية مبينة محددة صريحة ، تتلألأ فى آيات القرآن ، وتتجسد فى منهج الرسول وحياته ، عبادة تمدهم بالقوة والطاقة ، وبالعزمات الصانعة البناءة .

فإذا قضيت الصلاة ، لم يجلسوا لجدلهم وحوارهم ، بل ينتشرون فى الأرض أقوياء أعزة يبتغون من فضل الله ، ويصنعون الحياة حرة كريمة ، فتجول عقولهم فى الآفاق صانعة ومجددة ومبتكرة وتجول أيديهم فى الأرض تبنى وتشيد دور الصناعة ، ومعاهد العلم ، ومرافق البأس الشديد ، وصروح العزة الأبية .

هذا هو الإيمان فى الإسلام ، وتلك هى العبادة الخالصة لله ، لا الجدل الفارغ التافه ، والسفسطة اللفظية الهابطة

إن الإيمان لا يتفق أبداً ولا يحيا مع هذه العقول المتحجرة المتهالكة . التى تعيش فى خرافات الحسد والسحر والتعاويذ والتمائم والتطير والتشاؤم ؟ ؟ .

أساطير الخوارق الكاذبة ، والأموال التى تؤخذ من تحت الأبسطة ! !

يجب على المؤمنين بالفكرة الإسلامية أن يطهروا المجتمعات الإسلامية من تلك الأساطير الجاهلية ، ومن هذه الجدليات المسمومة القاتلة الوثنية ، وأن يقدموا الإسلام للمسلمين من جديد ، فى بساطته وفطرته وإيجابيته ومثالياته ، وأن يطهروا أقلامهم وكتبهم من الجرى وراء التأويلات والشطحات الكلامية والفقهية .

وحسبهم أن يقولوا قول عمر رضوان الله عليه لأصحابه : « حسبكم كتاب الله » .

وكتابه المقدس لا يعرف هذه الانفعالات النفسية الجاهلية المريضة .

إنه كتاب يربى نفوس أتباعه مع الإيمان بالله ورسوله ، يربى الحرية والعزة والقوة والعمل الدائب . والجهاد الخالص ، كما يربى العلم والمعرفة ، العلم الذى يسخر المادة ، والمعرفة التى تبدع الطاقة ، لخير الناس ورفاهيتهم وأمنهم .

« ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شىء إنما أمرهم إلى الله » .

لقد علمنا ديننا أن لا نجادل ونحاور ، وإنما سبيلنا فى الحياة أن نرتفع بتفكيرنا وبعلومنا إلى الأفق الأعلى ، نتفكر فى خلق السموات والأرض ، تفكيرا إيمانياً علميا يفتح أمامنا أبواب علوم الفلك والطبيعة والمغناطيسية والجاذبية « إنما يخشى الله من عباده العلماء » علماء الطبيعة ، علماء البحث والتجربة ، لا علماء الجدل والحوار والجمود والشعوذة .

إن كتاب الله . كتاب حب وإخاء وتعاون وعدالة وكرامة ، كتاب الله يمشى بهذه المعانى الروحية العالية ، لتصنع المجتمع المتعاون المتكامل المتماسك الحى المتحرك الزاحف ، لا المجتمع المهزق وجدانا وقلبا وخلقا .

يا حسرتا على المسلمين ، يقتلون أنفسهم جدالا وحواراً وجمودا وخصاما ، حول غيبيات جدلية والعالم المحيط بهم ، المتربص بحياتهم وحرياتهم ، ويصنع الذرة ، ويفتح الآفاق ، ويلتهم أمم الإسلام ، ويديل من شعوبهم ، وينال من كرامتهم ووجودهم .

إن هذه الأصوات العالية ، والمسابح الملونة ، والألسن المتجادلة ، أولى بها الحقول والمصانع ، أو ساحات فلسطين والجزائر ، لو كانوا مؤمنين بربهم حقا .

يجب أن نصنع مثلا هادفة واضحة للفكرة الإسلامية الشاملة حتى تعود وحدة الصف الإسلامى ، القلبية والفكرية ، والعاطفية .

يجب أن يفهم الناس أن الاسلام دين يصنع الحضارة ، ويمشى مع خطو الحياة وأنه لا يضاد العلم ولا يعرقله ، ولا يقف فى وجه التطور ولا يخاصمه .

ولن يفهم الناس هذا قبل أن نحرر عقيدتنا وتراثنا وحياتنا من ذلك الجو النفسى

القلق المتهالك الجاهل ، وأن نحرر عقيدتنا من هذا التمزق القاتل ، وهذا التحلل المدمر ، وهذه الوثنيات الهابطة .

إن تحرير عقيدتنا من جوها الأسطورى الجدلى الجاهلى ، هو الخط الأول الذى يجب أن يتكاتف حوله دعاة الفكرة الاسلامية .

أما الخطوط التالية فى منهج الحياة الإسلامية ، فموعدنا بها الكلمات القادمة إن شاء الله .

وما توفيق إلا بالله ؟ .